ملخص البحث

العنوان: أثر السياق في استعمال اسم الفعل في القرآن الكريم.

المؤلف: محمود محمد نبيل عبد المحسن.

والبحث فصلان: أحدهما: «أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي والمضارع في القرآن الكريم.»، والآخر: «أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر في القرآن الكريم».

وقام البحث على بيان السياق الموضعي والموضوعي وأثر السياق الموضعي في استعمال اسم الفعل في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني، اسم الفعل، السياق الموضعي.

Title:

.: The effect of context on the use of the verb's noun in the Holy Qur'an

.Author: Mahmoud Mohamad Nabil Abd el Mohsen

The research has two chapters: one: “The Effect of Context on Using the Noun of the Past and Present Verb in the Holy Qur’an.” The other: “The Effect of Context on Using the Noun of the Verb Command in the Holy .Qur’an"

The research was based on a statement of the topical and objective context and the impact of the topical context on the use of the noun of the verb in .the Holy Qur’an

Keywords: Quranic context, verb noun, topical context

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان ، علمه البيان، والصلاة والسلام على خير خلق الله، أفصح الناطقين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،

فالقارئ في كتاب الله لا ينضب معينه، ولا يجِف منهله؛ إذ في كتاب الله ما تأنس به القلوب وتشفى به النفوس، وتقر به الأعين، ففيه البلاغة العالية، والفصاحة الكاشفة، يحدثك قبل الطلب، ويعطيك قبل الرجاء.

ولما كان كتاب الله هو مرجعنا في اللغة، ومصدرنا في التشريع، كان التطواف فيه أجرا وعلما، وحين التقت أذني ببعض مواضع الكتاب العزيز التي استعمل فيها اسم الفعل؛ أثرني التعبير، وبرز السؤال في النفس عن أثر السياق في استعمالها.

ولا سيما أن أهل اللغة والنحاة أفردوا لها أبوابا، فقد عقد لها ابن جني بَابًا سماه: (باب تسمية الفعل)، وعقد لها النحاة تحت مسمى: اسم الفعل، وأخذوا يؤولون ويرجحون بين اسميتها وفعليتها.ثم قسموها – أي: أسماء الأفعال – قسمين: مرتجل ومنقول، وجعلوها حسب ما ورد عن العرب من حيث الزمن ثلاثة أنواع : اسم فعل ماضٍ، واسم فعل مضارع، واسم فعل أمر. ولكل اسم فعل دلالته.

أما كون اسم الفعل قياسيا؛ فقد اختلف بعض النحاة في وجود القياس في اسم الفعل وعدمه، والصحيح وجوده على صيغة فَعَالِ[1]، ولم يرد في القرآن الكريم؛ لذا لم يتقيد العنوان بالسماعي أو القياسي.

وبيَّن النحاة أن اسم الفعل يعمل عمل الفعل ولا يتأثر بالعوامل التي يتأثر بها الفعل، وغالبا لا يقبل الاتصال بضمائر الفعل؛ لذا كان الاختلاف بينهم في بعض الألفاظ: هل هي اسم فعل أو فعل؟ وقد اقتصر البحث عل ما أجمعوا على اسميته، أو رجحوها، وترك المرجوح، مثل: (تعال، هاتوا) فقد رجحوا فعليتهما، و (حسْب) الذي رجحوا كونه اسما خالصا.

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ)،٤/٧٩، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

وفي موضع استعمال القرآن الكريم لاسم الفعل، استعمل الفعل في المواضع الأخرى التى تتكلم عن الموضوع نفسه، أو لم يستعملهما –الفعل أو اسم الفعل– ؛ فأخذتُ في محاولات التدبر لمواضع استعمال اسم الفعل، وبيان مثيلاتها في القرآن الكريم؛ للوقوف على أسرار السياق في التعبير بهذا اللفظ.

كل هذا أسهم في العزم والإقبال على أن يكون البحث بعنوان: «**أثر السياق في استعمال اسم الفعل في القرآن الكريم**» وقد وقف البحث مع ثمانية من أسماء الأفعال في القرآن الكريم، مع تعدد مواضع بعضها.

ويهدف البحث للوقوف على أسرار التعبير باسم الفعل، وأثر السياق في هذا التعبير ، وبيان المعنى عند طرح البديل.

وقداقتضت طبيعة البحث أن يخرج في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهرس للمراجع وآخر للموضوعات:

أما المقدمة: ففيها أسباب الكتابة في هذا الموضوع، والهدف منه وخطته، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سلكه هذا البحث.

وأما التمهيد: ففيه إشارة إلى حديث أهل اللغة والنحو عن اسم الفعل والأغراض العامة للتعبير به دون ارتباط بسياق.

وأما الفصل الأول: «أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي والمضارع في القرآن الكريم.»، وينقسم مبحثين:

المبحث الأول: «أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي (هيهات)»

المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل المضارع.

أما الفصل الثاني: «أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر في القرآن الكريم». وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر (المرتجل) في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر (المنقول) في القرآن الكريم.

وأما الخاتمة: ففيها أهم ما توصل إليه البحث من حقائق ونتائج.

وأما الفهرس: فهو نوعان: أحدهما لمراجع البحث، والآخر للموضوعات.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم تقع عيناي على بحوث بلاغية عن اسم الفعل في القرآن، وإنما كتب بحث في مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، **عنوانه**: أسماء الأفعال في

الاستعمال القرآني، د./ زهير محمد العرود ، يونيو- ٢٠١٨م. وقد تناول أسماء الأفعال نحويا من حيث الترجيح للاسمية والفعلية، ولم يتطرق لدلالاتها.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج التحليلي؛ وذلك من خلال بيان أثر السياق التي ورد فيه اسم الفعل، وذلك على النحو الآتي:

- ذِكْر الآية التي ورد فيه اسم الفعل.
- بيان السياق الموضعي –الذي ورد فيه اسم الفعل.
- بيان السياق الموضوعي، وذلك بمحاولة حصر المقامات التي تتشابه مع الموضع المذكور، وبيان ما استعمل فيها بدلا من اسم الفعل.
- بيان أثر السياق الموضعي في استعمال اسم الفعل.
- وختاما: أسأل الله العفو عن الزلل، وقبول هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه، وأن يفتح لي في كتابه فتوح العارفين العاملين، وأن ينير لي الدرب، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن ينفعني بما علمني، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

د/ محمود محمد نبيل عبد المحسن علي.
مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة

تمهيد:

اسم الفعل من الصيغ التى اهتم بها اللغويون والنحويون ، فحفلت كتب اللغة والنحو بالحديث عن معاني أسماء الأفعال، وتقسيمها ، فتجد ابن جني يجعلها على ضربين : أحدهما في الأمر والنهي، والآخر في الخبر، وتجد النحاة يجعلونها مرتجلة ومنقولة، وما إلى ذلك.

وكان من مظاهر هذا الاهتمام أنهم أخذوا في بيان أهمية استعمال هذه الأسماء في مواضع الأفعال التي تضاهيها؛ حتى أرجع ابن جني فائدة التسمية بأسماء الأفعال إلى أمور:

أولها: السعة في اللغة، واستدلوا له بالاحتياج إلى بعض الأوزان في القافية ولا يناسبها إلا اسم الفعل.

ثانيها: المبالغة، وفسروها بأن المتكلم في المبالغة يترك موضعا إلى آخر، إما لفظا إلى لفظ، أو جنسا إلى جنس، واستدلوا بقول الأصمعي: الشيء إذا فاق في جنسه قيل له: خارجي،وهذا هو الموجود في اسم الفعل؛ ذلك أنه إذا أريد بالفعل المبالغة في معناه، أخرج عن معتاد حاله من التصرف فمُنِعَه ، فالخروج لاسم الفعل مبالغة.

وثالثها: الإيجاز، وذلك لمخاطبة الواحد والمثنى والجمع بصيغة واحدة [١]. فاجتماع الثلاثة-السعة والمبالغة والإيجاز- فيها كان من دلالة القوة في معناها.

كذلك ميز النحاة أسماء الأفعال عن المصدر النائب عن الفعل الأمر ، بكونه لا يتأثر بعامل مقدر، فقول الله تعالى: {فَضَرْبَ الرقابِ} [سورة محمد: ٤] يقدر فيه فاضربوا، بخلاف اسم الفعل الأمر، فلا تقدير معه[٢].

فقد جُعلت أسماء الأفعال بعد العدول إليها من الأفعال –مُبعدة في أحوالها من أحوال الفعل المسمى بها، واستُدِل على ذلك باقتران الفاء في جواب الفعل دون اسم الفعل، فنقول: اسكت فتسلم، ولا نقول: صه فتسلم، وإنما يقال: صه تسلم؛ لأن الفاء يأتي معها تصور معنى المصدر وذلك يصح للاستدلال عليه بفعله[٣].

---

(١) ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)،٤٨/٣ وما بعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: الرابعة.

(٢) ينظر: شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، ٢١٩/١، حققه: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

(٣) ينظر: الخصائص لابن جني، ٤٩/٣.

كذلك فإن اسم كل فعل يجري مجرى ذلك الفعل في كون فاعله ظاهرا أو مضمرا، وغائبا أو متكلما أو مخاطبا، لكنه لا يبرز في اسم الفعل شئ من الضمائر، تقول: صه، في المفرد المذكر والمؤنث، وكذا في مثناهما، ومجموعهما[1]

وخلاصة القول: إن أسماء الأفعال تتميز عن أفعالها بقوة دلالتها، وإيجازها، وتناسي الأفعال المسماة بها؛ حتى كأنها أصلا لا يمُتُّ للفعل بصله، ودراسة هذه الأسماء في سياقتها القرآنية المختلفة سيكون ذا أثر في بيان هذا الفرق بين اسم الفعل والفعل، كما يُظهر أسرار التعبير بها في مواضعها.

(١) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، القسم الأول، المجلد الأول، صـ٤٠٩، تحقيق: د/حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الفصل الأول:

أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي والمضارع في القرآن الكريم

المبحث الأول:

أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي (هيهات)

هيهات اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ، وتستعمل في اللغة مكررة ومفردة كما أشار الكفوي إلى ذلك بقوله: « اسْم فعل يجوز فِي آخرهَا الْأَحْوَال الثَّلَاثَة كلهَا بتنوين وَبلا تَنْوِين، وتستعمل مكررة ومفردة أَصْلهَا (هيهية) من المضاعف يُقَال: هَيْهَات مَا قلت وَلما قلت، وَلَك وَأَنت، وَهِي مَوْضُوعَة لاستبعاد الشَّيْء واليأس مِنْهُ، والمتكلم بهَا يخبر عَن اعْتِقَاد استبعاد ذَلِك **الشيء** الَّذِي يخبر عَن بعده فَكَانَ بِمَنْزِلَة قَوْله: بَعُد جدا، وَمَا أبعده، لَا على أَن يعلم الْمُخَاطب ذَلِك **الشيء** فِي الْبعد وَكَانَ فِيهِ زِيَادَة على (بَعُد)، وَإِن كُنَّا نفسره بِهِ..»[1].

لم ترد تلك الكلمة في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، في قوله تعالى:﴿ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، وقد وردت مكررة .

السياق الموضعي لاسم الفعل (هيهات):

وردت تلك الآية الكريمة في مقام إنكار البعث، وذلك في سورة (المؤمنون)، والتي كثر الحديث فيها عن البعث –الذي هو موضع استعمال اسم الفعل هنا–؛ حتى إن السورة الكريمة ورد الحديث فيها عن البعث أكثر من خمس مرات، في أولها ووسطها وآخرها، وذلك الحديث يكون إخبارًا عن البعث ، أو إظهار إنكار الأقوام له، أو خشية عدم القبول عند الرجوع لله عز وجل، أو النفخ في الصور للبعث، أو في خطاب الله أهل النار أنهم لم يُخلقوا عبثا، وأنهم سيبعثون ويحاسبون.

كما كثر في السورة الكريمة الحديث عن أصول العقيدة كأوصاف المؤمنين، وإرسال الرسل، وحديث أقوامهم لهم، وبعض أحوال اليوم الآخر.

أثر السياق في تحديد الرسول الذي تدور الآيات حوله :

ومن أحاديث الأقوام لرسلهم –لمن آمن بالرسل– إنكار البعث في هذا الموضع، الذي اختلف المفسرون في بيان ماهية هؤلاء القوم الذين أنكروا البعث، فمنهم من ذهب إلى أنهم قوم هود عليه وعلى نبينا السلام،

---

(1) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ- ١٦٨٣م)، صـ٩٥٩، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ومنهم من ذهب إلى لوط عليه وعلى نبينا السلام، ومنهم من ذهب إلى شعيب عليه وعلى نبينا السلام، وكلٌّ يستدل بدليل، والذي يبدو راجحا في البحث أنه صالح عليه وعلى نبينا السلام[1]؛ لأن سياق الموضع هنا كان إنكار البشرية في قوله تعالى﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٤]:، وهذا متوافق وقوله تعالى في سورة القمر: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٢٤].

كما أن الصيحة هنا في قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤١]، لم تأت مع قوم شعيب سوى مرة واحدة في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: ٩٤] ، في حين جاء مع قوم صالح في ثلاثة مواضع: في سورة هود في قوله تعالى:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: ٦٧]، وفي سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وفي سورة القمر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [القمر: ٣١]، وهذا الموضع يتوافق مع موضع الدراسة ؛ لأن فيه هشيم المحتظر، وفي آية المؤمنون الغثاء، وكلاهما فيه معنى ما تفتَّتَ، وفي هذا الموضع -كما وَضُح قبل – إنكار البشرية بالاستفهام الإنكاري.

وقد يقال: إن الصيحة أُنِّثت مع مع قوم شعيب وهو ما جاء في سورة المؤمنون؛ ويجاب عن هذا بأمور منها: ما ذكره القرطبي في هذا بقوله: « (نَجَّيْنا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) أَيْ صَيْحَةُ جِبْرِيلَ. وَأَنَّثَ الْفِعْلَ عَلَى لَفْظِ الصَّيْحَةِ، وَقَالَ فِي قِصَّةِ صَالِحٍ:" وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ" فَذَكَّرَ عَلَى مَعْنَى الصِّيَاحِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَهْلَكَ اللهُ أُمَّتَيْنِ بِعَذَابٍ وَاحِدٍ إِلَّا قَوْمَ صَالِحٍ وَقَوْمَ شُعَيْبٍ، أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِالصَّيْحَةِ، غَيْرَ أَنَّ قَوْمَ صَالِحٍ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مِنْ تَحْتِهِمْ، وَقَوْمَ شُعَيْبٍ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مِنْ فَوْقِهِمْ.»[2]. فمجيئها على المعنى أو اللفظ أمر يقتضيه السياق، ولمّا كانتا في مقام واحد فُرِّق بينهما، وهذا لا

---

(1) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ٤١/١٧، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(2) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ٢٠٣/١١، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

يقتضي أن التأنيث ثابت، ولا سيما أن القاعدة اللُّغوية تُجِيز التأنيث وعدمه للفعل إذا فُصل بينه وبين فاعله المؤنث بفاصل (الذين ظلموا).

ومنها: أن التاء هنا مع قوم شعيب –والله أعلم– قامت مقام التقديم؛ بمعنى: أن الآية الكريمة كانت إلى بيان العذاب قاصدة فأُنِّث الفعل، وفي الثانية قصدت ظلمهم الذي ترتب عليه العذاب فذُكِّر الفعل.

والتأنيث في سورة المؤمنون {فأخذتهم الصيحة}؛ جاء بيانا للعذاب الحالِّ بهم فأُنِّث؛ لأن السياق بيَّن أنهم سيصيبهم العذاب قريبا، فجاءت التاء مع الفعل كتمهيد وتشويق لمعرفة العذاب.

كما أن في هذا الموضع من سورة المؤمنون إنكار البعث على المؤمنين وإثبات حياة المتكلمين –الكفار– وأنهم يكفرون بالبعث؛ وذلك في قولهم كما يحكيه قول الله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وهو الخطاب نفسه في سورة الأعراف؛ حيث أنكروا إيمان المؤمنين ثم أظهروا كفرهم بما أرسل به صالح عليه السلام؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) ﴾ [الأعراف: ٧٥–٧٦]، كما أن البدء في الآيات بـ (ثم)، ثم بدء ما بعدها باللفظ نفسه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، يفيد أن هناك زمنا بين نوح عليه السلام وهذا الرسول، وزمنا بين هذا الرسول ومن بعده من الرسل، فكأن هودا عليه السلام كان بينه وبين نوح عليه السلام، وكذلك لوط عليه السلام كان بينه وبين شعيب عليه السلام، والله أعلم.

السياق الموضوعي للآية الوارد فيها اسم الفعل:

تحدث القرآن الكريم عن البعث، سواء إنكار البعث أو الإخبار عنه؛ في أكثر من ثلاثة وخمسين موضعا، في حوالي تسع وعشرين سورة من القرآن، أما إنكار البعث بإثبات الحياة وعدم البعث فلم يرد إلا في موضعين: في الأنعام والمؤمنون؛ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩]،وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧].

أما حديث القرآن عن البُعْد ذاته، وهو معنى هيهات فقد ورد ثلاثا وثلاثين مرة، منها: ست مرات على وزن المصدر (بُعْد)، وخمسا وعشرين مرة وَصْفًا على وزن (فعيل)؛ أي (بعيد)، منها عشرة في الضلال وثلاثة في الشقاق، ومرةً على وزن اسم المفعول من الرباعي (مُبْعَدُون)، ومرة على في صيغة الطلب على وزن (فَاعِل)؛ وهي: (بَاعِد)، ولم ترد بصيغة اسم الفعل إلا في هذا الموضع.

أثر السياق الموضعي لاستعمال اسم الفعل (هيهات):

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣١ – ٤١].

لَمَّا كان المقام في إنكار البعث، استدعى من المنكرين توكيد كلامهم؛ لِعِلْمِهم أن من آمنوا بالبعث لن يصدقوهم، وقد كثرت الأساليب التي تدل على التوكيد؛ منها: استعمال الشرط المسبوق باللام الموطئة للقسم ، وجواب القسم المُؤكد بـ«إنَّ» في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾، فأسلوب الشرط جاء مؤكَدًا بداية ونهاية، ولكن قد يقال: استعمال«إنْ» في الشرط يفيد عدم التحقق، فكيف يتناسب والتوكيد؟ والجواب: إن استعمال الشرط الذي يفيد عدم التحقق جاء على معتقَدِ المتكلم؛ إذ ظن أن المُخَاطبين ستُرْجِعهم الحُجَج التي يسوقونها مؤكدة.

ثم جاء الإنكار لا بالحقيقة وإنما بدلالة الاقتضاء؛ لأن التعجب أو الاستبعاد في الاستفهام يقتضي عدم القدرة على هذا الأمر، وعدم القدرة يقتضي إنكار التصديق بالمستَفْهَم عنه وهو البعث بعد الموت، يقول ابن عاشور: «وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ أَيَعِدُكُمْ لِلتَّعَجُّبِ، وَهُوَ انْتِقَالٌ مِنْ تَكْذِيبِهِ فِي دَعْوَى الرِّسَالَةِ إِلَى تَكْذِيبِهِ فِي الْمُرْسَلِ بِهِ»[1]. وقد جعله غيره للاستبعاد والاستهزاء ؛ كالصابوني في قوله: «استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد، أي: أيعِدُكم بالحياة بعد الموت بعد أن تصبحوا عظاما ورفاتا بالية؟»[2]

ويبدو أن الحَمْل على التعجب بالنسبة للخبر ذاته، والاستبعاد بالنسبة لحدوث هذا الخبر؛ يقوا ابن عاشور: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِعَادَةً لِكَلِمَةِ (أَنَّكُمْ) الْأُولَى اقْتَضَى إِعَادَتَهَا بَعْدَ مَا بَيَّنَهَا وَبَيَّنَ

---

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ٥٣/١٨، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

(2) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني،٣٠٩/٢، دار القرآن الكريم- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

خَبَرَهَا. وَتُفِيدُ إِعَادَتُهَا تَأْكِيدًا لِلْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ اسْتِفْهَامَ اسْتِبْعَادٍ تَأْكِيدًا لِاسْتِبْعَادِهِ. وَهَذَا تَأْوِيلُ الْجَرْمِيِّ وَالْمُبَرِّدِ...وَجَعَلُوا مُوجَبَ الِاسْتِبْعَادِ هُوَ حُصُولُ أَحْوَالٍ تُنَافِي أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ بِحَسَبِ قُصُورِ عُقُولِهِمْ، وَهِيَ حَالُ الْمَوْتِ الْمُنَافِي لِلْحَيَاةِ، وَحَالُ الْكَوْنِ تُرَابًا وَعِظَامًا الْمُنَافِي لِإِقَامَةِ الْهَيْكَلِ الْإِنْسَانِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ.»[1]، والاستهزاء بالنسبة للمُخْبِر. والله أعلم. وجاء المستفهم عنه مؤكَدًا { أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ }

ثم بعد آية اسم الفعل جاء أسلوب القصر في قوله تعالى حكاية لقولهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾، فهذه أساليب قصر موصوف على صفة (الحياة على كونها الحياة الدنيا فقط، والرجل على الافتراء)، والقصر هنا أفاد التوكيد للمخاطب ؛ ليرجع عن معْتَقَدِه الذي رضِي به، كما أنه جاء لأمر ينكره المخاطب، فكان النفي والاستثناء معبِّرا عن أذهان المتكلمين؛ إذ صور لنا أنهم على يقين من إنكار المخاطب عدم البعث، وكون النبي افترى على الله كذبا، فاستعملوا ما يحاولون به إثبات كلامهم وهو النفي والاستثناء.

ولما اجتمعت تلك الأساليب اقتضى السياق لفظا من خصائصة التوكيد، فكان اسم الفعل (هيهات) بأصل استعمال العرب له؛ كثيرًا ما يكون مكررا، والتكرار من أساليب التوكيد.

واسم الفعل هنا مؤكِّدٌ لمعنى الاستبعاد في الاستفهام قبله، واستعمال اللام بعد اسم الفعل من المبالغة في التأكيد؛ إذ الكلام مبني على تقدير الفاعل للعلم به ؛ إذ تأتي هيهات بعد كلام يدل على الفاعل بعدها، وتكون اللام للتبيين، أي: إيضاح المراد من الفاعل؛ فيحصل تفصيل بعد إجمال يفيد تقوية الخبر وترجع اللام للتعليل[2]، والمعنى: بعُد البعث للحساب وغيره. ، وهذا لا يتحقق مع التعبير بالفعل .

وبالإضافة لذلك، فإن مبنى الكلمة بتكرار الهاء الحلقية (الهوائية)؛ فيه دلالة البعد لِبُعْدِ المخرج وتكراره، فاسم الفعل حمل معنى التوكيد في المبنى والمعنى.

---

(1) التحرير والتنوير، ٥٣/١٨،

(٢) ينظر: التحرير والتنوير،صـ ٥٥، وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، ٥٠٤/١، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل المضارع

المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (أف)

(أف) اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، ومادة (ض ج ر) لم ترِد في القرآن الكريم، وكذا التأفف، وإنما وردت مادة الغضب.وهما ليسا بمعنًى.

يقول ابن منظور: « أفف: الأُفُّ: الوَسَخُ الَّذِي حَوْلَ الظُّفُرِ، والتُّفُّ الَّذِي فِيهِ، وَقِيلَ: الأُفُّ وسَخ الأُذن والتُّفُّ وسَخ الأَظفار. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ اسْتِقْذارِ الشَّيْءِ **ثُمَّ اسْتُعْمِلَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ يُضْجَرُ مِنْهُ وَيُتَأَذَّى بِهِ.** والأَفَفُ: الضَّجَرُ.. وأُفّ: كَلِمَةُ تَضَجُّرٍ وَفِيهَا عَشْرَةُ أَوجه: أُفَّ لَهُ وأُفٍّ وأُفُّ وأُفًّا وأُفٍّ وأُفٌّ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما. وأُفِّي مُمالٌ وأُفَّى وأُفَّةٌ وأُفْ خَفِيفَةٌ مِنْ أُفّ الْمُشَدَّدَةِ، »[1]

وضجر من:« الضَّجَر: الْقَلَقُ مِنَ الْغَمِّ، ضَجِرَ مِنْهُ وَبِهِ ضَجَراً. وتَضَجَّر: تَبَرَّم؛ وَرَجُلٌ ضَجِرٌ وَفِيهِ ضُجْرَةٌ. قَالَ أَبو بَكْرٍ: فُلَانٌ ضَجِرٌ مَعْنَاهُ ضَيِّقُ النَّفْسِ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ مَكَانٌ ضَجِر أَي ضَيِّقٌ»[2]

السياق الموضعي لاسم الفعل (أف):

ورد اسم الفعل **(أف)** في القرآن الكريم ثلاث مرات، في مواضع مختلفة:

الأول: في سورة الإسراء؛ في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

الثاني: في سورة الأنبياء في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

الثالث:في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

وبإنعام النظر في تلك المواضع يقف الناظر على اتفاقها في كونها في خطاب بين الولد ووالديه، أو أحدهما، وإن لم تكن كذلك في حق إبراهيم عليه السلام؛ إلا أن القرآن عبر عن عمه بأبيه، فهي كلها خطاب بين أب أو والدين وولدهما.

([1]) لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن ابن منظور الإفريقى ، مادة (أفف)، ٩/ ٦، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

([2]) السابق، مادة ضجر، ٤/ ٤٨١.

السياق الموضوعي لاسم الفعل: (أف):

وَرَدَ خطاب الأب مع ابنه بلفظ (يابُنَيَّ) خمس مرات في القرآن الكريم، واحدة مع نوح عليه السلام، وثلاث مع لقمان الحكيم، وواحدة مع إبراهيم عليه السلام.

وبلفظ (يا بَنِيَّ) أربع مرات، وكلهم مع يعقوب عليه السلام، واحدة في سورة البقرة، وثلاثة في سورة يوسف عليه السلام.وكلهم لم يرد فيه تأفف.

أما الكلمة ذاتها فلم ترد وإنما وردت (البغضاء) في خمسة مواضع، منها موضع في سورة المائدة قريب من معنى (أف) وهو في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ولما كان التأفف قولا بالفم؛ فبُدُو البغضاء من الأفواه قريب من التأفف؛ وإن حمل أكثر من معناه؛ لأن هذا لا يقف على الضجر وإنما قد يتعداه إلى سب أو سخرية أو سيئ الكلام.

وكذا وردت مادة (كره) وهي أوسع معنى من الضجر لما تحتمله من شتى وسائل الكره قلبيا كان أو ظاهريا، قوليا أو فعليا. فوردت في صورة (كره) تسع مرات، وفي صورة (يكرهون) مرتين، وفي صورة (كاره) مرتين. وهو كلام بعيد عن التأفف.

أثر السياق الموضعي لاستعمال اسم الفعل (أف):

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

وقبل البدء في البيان يطرأ سؤال في اسم الفعل (أف): إذا كان بمعنى القليل من الضجر فهل يتوافق في المواضع الثلاث؟ وهذا ما يظهر من خلال التحليل.

جاء سياق اسم الفعل هنا في سياق الأمر بطاعة الوالدين وعدم ايذائهما ، وقد جاء هذا السياق عقب الأمر بعبادة الله وحده في صورة أسلوب القصر الدال على الاختصاص، فكان الأمر بِبرِّ الوالدين في صورة الأمر بالمصدر «إحسانا»، التالي لتوحيد المولى عز وجل، فأكسبه الأمر والاقتران بتوحيد الله مزيد عناية واهتمام، ثم جاء التوكيد في الفعل «يبلغن»، ثم التكميل الحسن في قوله تعالى: **{أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا}** إذ دفع توهم بلوغ الاثنين معا الكبرثم عطف النهي عن النهر على عدم التأفف، «ونَهَرَ الرجلَ يَنْهَرُه نَهْراً وانْتَهَرَه: زَجَرَه.»[1]، فكان التعبير باسم الفعل أقوى في أداء المراد؛ لأن طبيعة المرء ألا ينطق الأُفّ إلا حين يمتلئ صدره ، يقول القرطبي: «خَصَّ حَالَةَ الْكِبَرِ لِأَنَّهَا الْحَالَةُ الَّتِي يَحْتَاجَانِ فِيهَا إِلَى بِرِّهِ لِتَغَيُّرِ الْحَالِ عَلَيْهِمَا بِالضَّعْفِ وَالْكِبَرِ، فَأُلْزِمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا أُلْزِمَهُ مِنْ قَبْلُ، لِأَنَّهُمَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ صَارَا كَلًّا عَلَيْهِ، فَيَحْتَاجَانِ أَنْ يَلِيَ مِنْهُمَا فِي الْكِبَرِ مَا كَانَ يَحْتَاجُ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَلِيَا مِنْهُ، فَلِذَلِكَ خَصَّ هَذِهِ الْحَالَةَ بِالذِّكْرِ. وَأَيْضًا فَطُولُ الْمُكْثِ لِلْمَرْءِ يُوجِبُ الِاسْتِثْقَالَ لِلْمَرْءِ عَادَةً وَيَحْصُلُ الْمَلَلُ وَيَكْثُرُ الضَّجَرُ فَيَظْهَرُ غَضَبُهُ عَلَى أَبَوَيْهِ وَتَنْتَفِخُ لَهُمَا أَوْدَاجُهُ، وَيَسْتَطِيلُ عَلَيْهِمَا بِدَالَّةِ الْبُنُوَّةِ وَقِلَّةِ الدِّيَانَةِ، وَأَقَلُّ الْمَكْرُوهِ مَا يُظْهِرُهُ بِتَنَفُّسِهِ الْمُتَرَدِّدِ مِنَ الضَّجَرِ.»[2]فكان النهي عن الأُفِّ ، ليس نهيا عن النطق، وإنما نهي عن ضيق الصدر الذي يصل بالإنسان إلى الأف، وهو أدعى أن يتحمل المرء والديه مهما كان منهما من أذى حسي أو معنوي، حتى إن المولى عز وجل قال: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]، وقد أشار ابن عطية في تفسيره إلى مثل هذا؛ فقال: «قال القاضي أبو محمد:

([1]) لسان العرب، مادة (نهر)، ٢٣٩/٥.

([2]) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ٥٦/١٣.

ومعنى اللفظة أنها اسم فعل، كأن الذي يريد أن يقول: أضجر أو أتقذر أو أكره أو نحو هذا يعبر إيجازا بهذه اللفظة، فتعطي معنى الفعل المذكور، وجعل الله –تعالى– هذه اللفظة مثالا لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون، فلم ترد هذه في نفسها، وإنما هي مثال الأعظم منها، والأقل؛ فهذا هو مفهوم الخطاب الذي المسكوت عنه حكمه حكم المذكور »[1]

وأقَرَّ ابن عاشور هذا بقوله: «وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ أَنْ يَقُولَ لَهُمَا أُفٍّ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ النَّهْيُ عَنِ الْأَذَى الَّذِي أَقَلُّهُ الْأَذَى بِاللِّسَانِ بِأَوْجَزِ كَلِمَةٍ، وَبِأَنَّهَا غَيْرُ دَالَّةٍ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ حُصُولِ الضَّجَرِ لِقَائِلِهَا دُونَ شَتْمٍ أَوْ ذَمٍّ، فَيُفْهَمُ مِنْهُ النَّهْيُ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ أَذًى بِطَرِيقِ فَحْوَى الْخِطَابِ بِالْأَوْلَى.»[2]، فأشار إلى دلالة «أف» على امتلاء النفس وهو الضجر، وأنها للنهي عن أي أذى، وقد أشار القرطبي إلى هذا المعنى بقوله: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى أف الاحتقار والاستقلال، أخذ من الافَف وَهُوَ الْقَلِيلُ. وَقَالَ الْقُتَبِيُّ: أَصْلُهُ نَفْخُكَ الشَّيْءَ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْ رَمَادٍ وَتُرَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وللمكان تريد إماطة شي لِتَقْعُدَ فِيهِ، فَقِيلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لِكُلِّ مُسْتَثْقَلٍ.»[3] فكان اللفظ في سياقة أقوى وأدل من فعله الأصيل «أضجر»؛ لما فيه من إيجاز، ودلالة معنوية على كل ما يتأتى منه الضجر.

وتقديم الجار والمجرور {لهما} على اسم الفعل يؤكد المعنى المذكور–شدة الحرص على طاعة الوالدين– فهذا التقديم يفيد قبل مقول القول عموما، أي: جنس القول، وهذا يبعث تنبيها وشوقا في نفس السامع؛ ليقف على المنهي عنه وعظمته، وحين يذكر مقول القول {أف} الذي لا يتجاوز زفرة نَفَسٍ –فهي بين الهوائي والشفوي– يتمكن في نفسه عموم النهي، وعليه قول العامة لمؤذٍ غيره:« إياك وأن تنظر إليه بطرف عينك»، فليس النهي عن النظر وإنما نهي عن كل أذى.فسياق النهي هنا اقتضى ما يفيد المبالغة في هذا النهي، وإذا أردنا الوقوف فنستعمل –في غير القرآن– أضجر، فلن يستقيم لك المعنى ؛ لأن «أف» كما ذُكر فيها دلالة امتلاء النفس .

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، صـ ١١٣٧، دار ابن حزم.

(2) التحرير والتنوير ، ٧٠/١٥.

(3) تفسير القرطبي، ٥٨/١٣.

عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٢ – ٦٧]،

هذا الموضع من بلاغته الإشارة إلى منهج دعوي خالص، فبإنعام النظرة في الآيات الكريمة من أول قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، نجد أن السياق فيه دلالة الامتلاء المذكورة سابقا في معنى اسم الفعل؛ إذ بدأت باستفهام إبراهيم عليه السلام ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٢] وختمت بالاستفهام أيضا، ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٦]، وكلا الاستفهامين على غير حقيقته:

فالاستفهام الأول: كان من باب مجاراة الخصم لإقامة الحجة عليه، فسألهم ليجيبوه فيبني إنكاره على جوابهم، يقول ابن عاشور: « فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَا عِبَادَتُكُمْ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ؟. وَلَكِنَّهُ صِيغَ بِأُسْلُوبِ تَوَجُّهِ الِاسْتِفْهَامِ إِلَى ذَاتِ التَّمَاثِيلِ لِإِبْهَامِ السُّؤَالِ عَنْ كُنْهِ التماثيل فِي بادىء الْكَلَامِ إِيمَاءً إِلَى عَدَمِ الْمُلَاءَمَةِ بَيْنَ حَقِيقَتِهَا الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالتَّمَاثِيلِ وَبَيْنَ وَصْفِهَا بِالْمَعْبُودِيَّةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِعُكُوفِهِمْ عَلَيْهَا. وَهَذَا مِنْ تَجَاهُلِ الْعَارِفِ اسْتَعْمَلَهُ تَمْهِيدًا لِتَخْطِئَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ جَوَابَهُمْ فَهُمْ يَظُنُّونَهُ سَائِلًا مُسْتَعْلِمًا وَلِذَلِكَ أَجَابُوا سُؤَالَهُ بِقَوْلِهِمْ: وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ، فَإِنَّ شَأْنَ السُّؤَالِ بِكَلِمَةِ (مَا) أَنَّهُ لِطَلَبِ شرح مَاهِيَّة الْمَسْئُول عَنْهُ وَالْإِشَارَةُ إِلَى التَّمَاثِيلِ؛ لِزِيَادَةِ كَشْفِ مَعْنَاهَا الدَّالِّ عَلَى انْحِطَاطِهَا عَنْ رُتْبَةِ الْأُلُوهِيَّةِ. »[1].

أما الاستفهام الثاني فهو للإنكار عليهم ؛ إذا نكسوا على رؤوسهم وعلموا أنهم على باطل، فلم يتمكنوا من إخفاء باطلهم فزلت بهم ألسنتهم بالاعتراف بأنهم لا ينطقون، يقول ابن عاشور: « فَلَمَّا اعْتَرَفُوا بِأَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَسْتَطِيعُ النُّطْقَ انْتَهَزَ إِبْرَاهِيمُ الْفُرْصَةَ لِإِرْشَادِهِمْ مُفَرِّعًا عَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهَا لَا تَنْطِقُ اسْتِفْهَامًا إِنْكَارِيًّا عَلَى عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا وَزَائِدًا بِأَنَّ تِلْكَ الْأَصْنَامَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.»[2].

والسياق كله في باب الحِجاج؛ الذي يقوم على أكثر من فن بلاغي، كالاستفهام والمجاراة والمذهب الكلامي، وغيرها، ولذا فما وقع بين الاستفهامين المذكورين كان سببا في امتلاء نفس الخليل إبراهيم عليه السلام، وكان له أن يسب معبودهم بعدما اعترفوا بعدم فائدته، ولكنه كان مثالا عمليًّا من الخليل إبراهيم عليه السلام في المنهج الدعوي ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ولذا كان استعمال اسم الفعل «أف» هو أقرب طريق للاعتراض على آلهتهم بدون سب.

([1]) التحرير والتنوير، ٩٤/١٧.

([2]) التحرير والتنوير، ١٠٤/١٧.

وعليه فاستعمال اسم الفعل المضارع (أف) في هذا الموضع -أيضا – موجِزٌ لكثير من المعاني؛ إذ دل على امتلاء نفس إبراهيم عليه السلام من عبادة أبيه وقومه، واستقرارهم على باطلهم بعد البيان لهم، فضاق صدره قبل لسانه، وهو ما يتوافق مع الموضع الأول من حيث امتلاء النفس قبل نطق اللسان.

كما أن االتعبير باسم الفعل هنا إشارة إلى طبيعة كثير من البشر يحملون الإساءة في صدورهم حتى تتحول إلى زفرات تأفف معبرة. حتى لا تتحول إلى ضغينة الصدور، وللمتأمل أن يضع(أف) بجوار (أضجر)، ستهدأ فكرته ويستكين فضوله.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

هذا الموضع حديث من ولد لوالديه، ولكن السياق في مقام بيان عاقبة المُحسن الشاكر، والمسيء الكافر ، فالسياق فيه تقسيم؛ إذ أتى بشِقي الكلام: المحسن الشاكر في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥]، والمسيء الكافر في الآية موضع الدراسة.

حتى قال أبو حيان في قوله تعالى {ولِكلٍّ درجات مما عَمِلُوا} بعد بيان الفريقين: « أَيْ مِنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ دَرَجاتٌ، غَلَبَ دَرَجَاتٌ، إِذِ الْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ، وَالْمَعْنَى: مَنَازِلُ وَمَرَاتِبُ مِنْ جَزَاءِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ »[(١)]

فيقول أبو السعود: في الشق الأول: «{ قَالَ رَبّ أَوْزِعْنِى } أي ألهمنِي ، وأصلُه أَوْلعِني من أوزعتُه بكذَا {أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وعلى وَالِدَىَّ } أي: نعمةَ الدِّينِ أو ما يعمُّها وغيرَها . { وَأَنْ أَعْمَلَ صالحا ترضاه } التنكيرُ للتفخيمِ والتكثيرِ { وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرّيَّتِى } أيْ: واجعلِ الصلاحَ ساريًا في ذُريتي راسخًا فيهم... قالَ ابنُ عبَّاسٍ : أجابَ الله تعالَى دعاءَ أبي بكرٍ رضيَ الله عنُهم فأعتقَ تسعةً من المؤمنينَ منهم عامرُ بنُ فُهيرةَ ولم يُردْ شيئاً من الخيرِ إلاَّ أعانَهُ الله –تعالى– عليهِ ودَعَا –أيضاً– فقالَ: وأصلحْ لي في ذُريتي؛ فأجابَهُ الله عزَّ وجلَّ فلم يكُن لهُ ولدٌ إلا آمنُوا جميعاً، فاجتمعَ له إسلامُ أبويهِ وأولادِه جميعاً، فأدركَ

(١) البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ٦٣/٨، مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

أبُوه أبُو قحافةَ رسولَ الله ﷺوابنُه عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ وابنُ عبدِ الرَّحمنِ أبُو عتيقٍ كلُّهم أدركُوا النبيَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ولم يكُنْ ذلكَ لأحدٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله –تعالَى- عليهم أجمعينَ »[1]

فكما هو بيِّن من قول أبي السعود أن «أوزعني» بمعنى الولَع بالشكر، شكر نعم الله عليه وأهلِه، وفي الجانب الآخر يكون مقابل هذا الولَع التأفف، فاستعمل اسم الفعل هنا لشدة إنكار البعث، وقد ذكر النظم الكريم سبب التأفف، وهو دعوتهم له ليؤمن بالله، وإلحاحهم عليه ليفدي نفسه من عذاب الله، وهذا الإلحاح مع قلب طُبع عليه يزيد هذا القلب إصرارا على الكفر.

وقد يقال: من أين أتى الإلحاح؟ والجواب من سياق الكلام، فحين قال لوالديه: «أتعدانني» كان بيانا لسبب التأفف من والديه، وهذا السبب وُجه لكليهما، وكأنهما كانا يتناوبان النصح له بالإيمان؛ مما أوغر صدره، أو نصحاه سويًّا فضجر من كونهما متفقين على هذا الأمر،

كذلك أتى الإلحاح من قوله تعالى:{ **وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ** }،فطلب الغوث لا يكون إلا بعد رؤية إصراره المؤدي لهلاكه، وإلا كان دعاءً كدعاء الأبوين لولدهما بالهداية، أما الاستغاثة ففيها إلحاح في الدعاء لِما يرَوْن من سوء الحال، ودليل ذلك قوله تعالى في جواب ولدهم عليهم:{ **فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ** }.

ومن خلال هذا العرض يظهر أثر السياق في استعمال اسم الفعل«أف» في هذا الموضع، وأنه المناسب لامتلاء نفس الكافر من دعوة والديه له للإيمان، وأنه المقابل لولع الشاكر بشكر النعمة.

وختاما: فإن استعمال اسم الفعل المضارع «أف» في النظم القرآني استدعاه السياق، فقد جاء دالًّا على القوة أو الشدة، ولكن شدة القليل وشدة الشديد، بمعنى: أن الموضع الأول نهي عن أقل الضجر، وفي الآخرين حوار نفسين قد امتلأتا بالضجر وفاض بهما الكيل، نفس مؤمنة أيست من كفر، ونفس كافرة صدها الشيطان عن الإيمان.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد العمادي الحنفي (٩٠٠- ٩٨٢هـ)، ١٢٨/٥، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة

المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل «وَيْ»

اختصر ابن هشام القول في معنى «ويكأن» فقال: « مسألة {وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} ما معناه، وما إعرابه؟

الجواب: فيه ثلاثة أقوال:**أحدهما**: ويك بحروفها الثلاثة اسم فعل معناه ما الخبر؟ [كمهيم] إلا أن مهيم اسم فعل معناه استفهام حقيقي. وويك اسم فعل معناه استفهام تقريري.**الثاني**: أن اسم الفعل وي فقط ومعناه أعجب.**والثالث**: أن ويك ليس باسم فعل البتة، وإنما هو ويلك، ولكن حذفت اللام، وقد حملوا على ذلك قول عنترة:ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها...قيل الفوارس: ويك عنتر أقدم[1] وعلى القول **الأول**: فإن –لفظ الجلالة–الله –سبحانه وتعالى– منصوب بأن. وعلى **الثاني:** (كأن) كلمة مستقلة ناصبة للاسم رافعة للخبر، ومعناها الظن لا التشبية به. وعلى **الثالث:**(أن الله) منصوب بأعلم محذوفة»[2] وعلى القول الثاني يكون في موضوع الدراسة.

والتعجب في اللغة له صيغتان قياسيتان: ما أَفْعَلَ، وأَفْعِل به، وله صِيغ سماعية، منها: سبحان الله، لله دره فارسا،قاتله الله، كما يأتي التعجب مجازا في صورة أساليب لغوية مختلفة كالنداء والاستفهام، وذلك كله إضافة إلى التعجب بالفعل الصريح أعجب، أو اسم الفعل (وي).

السياق الموضعي لـ(وي):

لم يرد اسم الفعل (وي) في القرآن الكريم سوى مرتين في آية واحدة في سورة القصص، يقول تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص: ٨٢].

وسياق الكلام في التعجب من خسف الله بقارون، والندم ممن تمنوا مكانه بالأمس، في قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ القصص: [٧٩ – ٨١].

---

(١) ديوان عنترة، صـ٢١٧، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤.

(٢) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، ابن هشام الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١هـ، صـ ٢٨، تحقيق: د/محمد نغش، المجلس العلمي، دار إحياء التراث، الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وفي هذا السياق استعمل مَن تَمَنَّى مكان فرعون التمني المقرون بنداء الحسرة على ما هم فيه من فقر وما هو فيه من غنى، فالغفلة حين تأتي المرء تكدر عليه دينه حتى يفيق؛ لذا حين أفاقوا بخسف قارون كان العجب من تغير حال الشيء إلى ضده.

السياق الموضوعي للتعجب من عاقبة الآخرين في القرآن الكريم :

وقد جاء التعجب في القرآن بمادة (عجب) إحدى عشرة مرة -تقريبا بصيغة الماضي، وثماني مرات بصيغة المضارع، وخمس في صورة المصدر(عجَبٌ)، وثلاث في صورة صيغ المبالغة.

أما السماعي فقد وردت صيغة سبحان -سواء التعجب أو التنزيه- تماني عشرة مرة في القرآن الكريم. والتعجب بـ(قاتله الله) ووردت في موضعين بصيغة: (قاتلهم الله).

أما خروج أساليب عن الحقيقة إلى المجاز للتعجب فكثير في القرآن الكريم، كالنداء في قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس: ٣٠]، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ ﴾ الحاقة:[١ – ٢]، ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٨]، وغيرها.

أثر السياق الموضعي لاستعمال اسم الفعل (وي):

ورد اسم الفعل (وي) بمعنى التعجب في موضعين من آية واحدة في سورة القصص، وهما متصلين بسياق الخسف بقارون، والخسف للبشر لم يأت واقعا في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، فقد ورد خسف القمر مرة، وتهديد بالخسف دون وقوعه ست مرات، يقول ابن عاشور:« وَالْخَسْفُ: انْقِلَابُ بَعْضِ ظَاهِرِ الْأَرْضِ إِلَى بَاطِنِهَا، وَعَكْسُهُ...وَهَذَا الْخَسْفُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَنَاوَلْ غَيْرَ قَارُونَ وَمَنْ ظَاهَرَهُ، وَهُمَا رَجُلَانِ مِنْ سِبْطِ (رُوبِينَ) وَغَيْرَ دَارِ قَارُونَ، فَهُوَ مُعْجِزَةٌ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.»(١)

وبالتأمل في السياق نجد أن الفريدة(وي) ناسبت الفريدة (الخسف)، كما أن التعبير باسم الفعل جعل التعجب محسوسا أكثر من المنطوق؛ إذ حروف الكلمة كنفَسٍ خرج من الجسد ليعبِّر عن دهشة فائقة، تعجز الكلمات عن التعبير عنها؛ حتى في لغة العوام يقال: (وه) للعجب الشديد.

إذ المعنى أن القوم حين رأو خسف الله بقارون تعجبوا من حكمة الله، ثم ازداد تعجبهم لهلاك الكافر بعد إنعام الله -سبحانه-عليه، يقول الشيخ الطنطاوي: «وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ، أى: صاروا يقولون: ما أعجب قدرة الله- تعالى- في إعطائه الرزق لمن يشاء من عباده وفي منعه عمن يشاء

(١) التحرير والتنوير، ١٨٥/٢٠.

منهم، وما أحكمها في تصريف الأمور، وما أشد غفلتنا عندما تمنينا أن نكون مثل قارون، وما أكثر ندمنا على ذلك.لولا أن الله- تعالى- قد منّ علينا، بفضله وكرمه لخسف بنا الأرض كما خسفها بقارون وبداره. وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ أى: ما أعظم حكمة الله- تعالى- في إهلاكه للقوم الكافرين، وفي إمهاله لهم ثم يأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر.»[1]

وختاما، ظهر أثر السياق في استعمال اسم الفعل المضارع (وي) في التعجب، إذ دلالته القوة في التعجب، وجاءت قوته في السياق من كونهم أوشكوا على الهلاك فنجاهم الله وتنبهوا وتعجبوا من حكمته – سبحانه- في توزيع الأرزاق، ثم ازداد تعجبهم من قدرة الله في هلاك الكافر مهما أوتي من المال والسلطان.

فكان السياق متتاليا من تمنٍ ثم تنبيه من أهل العلم ثم خسف له الأثر في استعمال اسم الفعل؛ إذا هو بحرفيه فيه قوة دلالة على اختلاط الحس بالقلب، فلو قيل في غير القرآن: نتعجب، أو سبحان ربنا، ما وصلت صورة المتعجِّب كما دل عليها اسم الفعل من عجب يشوبه حزن على ما كان منهم، فليس تعجب نظر، بل تعجب وجدان، لأن نجاتهم من الخسف كانت من أسباب التعجب أيضا؛ إذ لو أعطو وطغوا كما طغى قارون لكانوا من أهل الخسف، ولكن الله يمن على من يشاء، ويبسط الرزق ويقدر بحكمته تعالى. والله أعلم.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٤٤١/١٠، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

الفصل الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر في القرآن الكريم

يُعد اسم الفعل الأمر في اللغة العربية هو الأكثر استعمالا بين أسماء الأفعال؛ ولعل ذلك راجع لاستعمال العرب لأسماء الأفعال، وكذلك كان الاستعمال في القرآن الكريم؛ إذ كثر اسم الفعل الأمر عن الماضي والمضارع؛ ولذا كان كفيلا بإقامة فصل وحده في هذا البحث.

واسم الفعل الأمر في القرآن ورد منه: عليكم، أي: الزموا، وهلم، أي: أقبل، ومكانكم، أي: اثبتوا، وهيت أي: أقبل، وهاء، أي: خذ.، وقد ورد غيرها ولكن رجح النحويون فعليته على كونه اسم فعل؛ مثل: تعال، هاتوا. وأسماء االفعل الأمر منها ما هو مرتجل وما هو منقول؛ ولذا كانت مباحث هذا الفصل على النحو الآتي:

المبحث الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (المرتجل) في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هلم) في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هيت) في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (ها) في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (المنقول) في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (عليكم) في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (مكانكم) في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر (المرتجل) في القرآن الكريم.

هو ما وضع من أول الأمر، مثل صه، فلم يُنقل عن غيره، وورد اسم الفعل الأمر المرتجل في القرآن الكريم في ثلاث صيغ: هيت، هلم، هاء، وهذه مُجمَع على كونها اسماء أفعال ، مع الاختلاف في هيت حول كونها ماض أو أمر، وسيأتي في موضعه، وهناك صيغة (هاتوا، تعالوا) والأغلب فيهما عند النحاة الفعلية دون الاسمية؛ ولذا اقتصر المبحث على الصيغ الثلاث.

المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هلم) في القرآن الكريم.

يقول ابن منظور: « وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: هَلُمَّ فِي لُغَةِ أَهل الْحِجَازِ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَالذَّكَرِ والأُنثى بلفظٍ وَاحِدٍ، وأَهلُ نَجْدٍ يُصَرِّفُونَها، وأَما فِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ وأَهل نَجْدٍ فإِنهم يُجْرونه مُجْرَى قَوْلِكَ رُدَّ، يَقُولُونَ لِلْوَاحِدِ هَلُمَّ كَقَوْلِكَ رُدَّ، وَلِلِاثْنَيْنِ هَلُمَّا كَقَوْلِكَ رُدَّا، وَلِلْجَمْعِ هَلُمُّوا كَقَوْلِكَ رُدُّوا، وللأُنثى هَلُمِّي كَقَوْلِكَ رُدِّي، وللثِّنْتَيْنِ كالاثْنَيْنِ، وَلِجَمَاعَةِ النِّسَاءِ هَلْمُمْنَ كَقَوْلِكَ ارْدُدْنَ، والأَوَّل أَفصَح. قَالَ الأَزهري: فُتحت هَلُمَّ أَنها مُدْغَمة كَمَا فُتحت رُدَّ فِي الأَمر فَلَا يَجُوزُ فِيهَا هَلُمُّ، بِالضَّمِّ، كَمَا يَجُوزُ رُدُّ لأَنها لَا تتصرَّف»[(١)].

هذا قول كتب اللغة في (هلم)، وهي اسم فعل أمر بمعنى أقبل إذا كان لازما، وبمعنى أَحْضِر إذا كان متعديا، يقول ابن هشام: «إنّ إِجْمَاع النَّحْوِيين واللغويين مُنْعَقد على أنّ لـ (هَلُمَّ) مَعْنيين: أَحدهمَا: تعالَ، فَتكون قَاصِرَة؛ كَقَوْلِه تَعَالَى: (هَلُمَّ إِلَيْنَا) أيْ: تَعَالَوْا إِلَيْنَا. وَالثَّانِي: أحضر، فَتكون متعدية كَقَوْلِه تَعَالَى: (هَلُمَّ شهداءكم) أيْ: أحضروهم.» [(٢)].

السياق الموضعي لاسم الفعل(هلم):

ورد اسم فعل الأمر (هلم) في موضعين في القرآن الكريم:

الأول: ورد متعديا بمعنى أحْضِرْ؛ في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

والآخر: ورد لازما بمعنى أقبِل؛ في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨].

---

(١) لسان العرب، مادة(هلم)،٦١٨/١٢.

(٢) المسائل السفرية في النحو، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، صـ٣٤، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

أما الموضع الأول: فكان في سياق إنكار القرآن الكريم على من ادعى تحريم بعض أنواع الأنعام، فخاطبهم القرآن متحديا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾، أي أحضروا شهداءكم. فهو في موضع دعوة الشهداء ليكون الإنكار عليهم فيما قالوه أبلغ.

وأما الموضع الآخر: فكان في سياق الحديث عن غزوة الخندق وتعذر المنافقين ودعوتهم بعض المؤمنين بالرجوع عن القتال مع رسول اللهﷺ. في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨].

الموضع الأول:

السياق الموضوعي لاسم الفعل (هلم) متعديا:

لم ترد دعوة الشهداء باسم الفعل هلم في غير الموضع المذكور، وإنما وردت بلفظ (ادعوا) في موضع واحد من سورة البقرة﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولفظ (استشهدوا) فيموضع واحد من السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وفي سورة النور موضعين : مرة بلفظ: (يأتوا) في قوله تعالى:﴿ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤]، وبلفظ (جاءوا) في قوله تعالى:﴿ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [النور: ١٣]،فلم ترد دعوة الشهداء بلفظ واحد في القرآن الكريم وهذا وحده موضع بحث.

وأما الدعوة للشركاء، والمزعومين عموما بلفظ (ادعوا) فقد وردت في أربع مواضع: في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الأعراف: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [القصص: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[سبأ: ٢٢].

وبلفظ (نادوا) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الكهف: ٥٢]، فلم يأت اسم الفعل سوى في هذا الموضع .

أثر السياق الموضعي في استعمال اسم الفعل (هلم):

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

إن منعم النظر في سياق الآية الكريمة يجد أنه مقام إنكار عل المشركين من أصل دعواهم بالتحريم للأنعام على ما وصفوه، وقد تواترت أدلة إنكار هذا التحريم في أكثر من أسلوب:

الأول:ا لاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وفيه يقول الإمام عبد القاهر: «ونظيرُ هذا قولُه تعالى: {قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام: ١٤٣]، أُخرجَ اللفظُ مَخْرجَه إذا كان قد ثبتَ تحريمٌ في أحدِ أشياءَ، ثم أُريدَ معرفةُ عينِ المحرَّم، معَ أنَّ المُرادَ إنكارُ التَّحريم مِنْ أصلهِ، ونَفْيُ أنْ يكونَ قد حُرم شيءٌ مما ذكروا أنه محرَّم. وذلك أنْ الكلامُ وُضعَ على أن يُجعلَ التحريمُ كأنه قد كانَ، ثم يُقال لهم: "أَخْبِرونا عن هذا التَّحريم الذي زعمتُمْ، فيمَ هو؟ أفي هذا أم ذاك أم في الثالث؟ " ليتبيَّنَ بُطْلانُ قولِهِمْ، ويَظْهَرَ مكانُ الفِرْية مِنهم على الله تعالى.»[(١)]

الثاني:إنكار شهادتهم أمرَ الله بعد أم المتصلة في قوله تعالى: ﴿ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ﴾[الأنعام: ١٤٤].

الثالث: القصر للتحريم فيما أوحِي لرسول الله ﷺ على أشياء محدودة ليس منها ما ادَّعوه (قصر صفة على موصوف) في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وبعد أن أنكر عليهم وأظهر كذبهم فيما ذكروه من قبل ، وأن أنكر عليهم شهادتهم أمْرَ الله؛ كان تحدٍّ آخر هناك وهودعوة من يشهدون بهذا التحريم؛ وذلك للأخذ عليهم والإنكار كما فُعل بأشياعهم من قبل.

وهنا يبدو أثر استعمال اسم الفعل (هلم)؛ إذ هوعلى «مذهب البصريين أن هلم مركبة من "ها" التنبيه ومن لم التي هي فعل أمر من قولهم "لم الله شعثه" أي جمعه، كأنه قيل: اجمع نفسك إلينا، فحذفت ألِفُها تخفيفا.

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ،صـ١١٥، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

وقال الخليل: رُكِّبَا قبل الإدغام؛ فحذفت الهمزة للدَّرْجِ؛ إذ كانت همزة وصل، وحذف الألف لالتقاء الساكنين، ثم نقلت حركة الميم الأولى إلى اللام»[1]

فمعنى (لَمَّ) في اسم الفعل فيه جمع المتفرق، وهذا أبلغ في التحدى والإنكار، يقول ابن منظور: «لَمَّ شَعَثَه يَلُمُّه لَمّاً: جمعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أُموره وأَصلحه.»[2] وهذا ما لم يُحققه الفعل أحضروا؛ إذ لا يستوجب جمع شتاتٍ. ولا يحققه الفعل (ادعوا) فليس فيه قوة اسم الفعل المقصودة في هذا الموضع.

ولو أنعمنا النظر لوُجِد أن أسلوب الأمر يحتمل التعجيز، أي؛ إنهم لن يستطيعوا إحضار هؤلاء الشهداء لعدم وجودهم أصلا، ولعل استعمال القيد بـ (إن) بعد طلب جمع الشهداء في قوله تعالى: ﴿ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾[الأنعام: ١٥٠]،يقوي معنى التعجيز أيضا، وإخبار بأنهم إن تمادوا في كذبهم وضلالهم وأحضروا المستبعد وهوالشهداء فكذِّبْهم فيما يقولون؛ يقول ابن عاشور: «ثمَّ فَرَّعَ عَلَى فَرْضِ أَنْ يُحْضِرُوا شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ، قَوْله: فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ، أَيْ: إِنْ فُرِضَ الْمُسْتَبْعَدُ فَأَحْضَرُوا لَكَ شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ، فَكَذِّبْهُمْ وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمْ شُهُودُ زُورٍ، فَقَوْلُهُ: فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ كِنَايَةٌ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ لِأَنَّ الَّذِي يُصَدِّقُ أَحَدًا يُوَافِقُهُ فِي قَوْلِهِ، فَاسْتُعْمِلَ النَّهْيُ عَنْ مُوَافَقَتِهِمْ فِي لَازِمِهِ، وَهُوَ التَّكْذِيبُ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّهَادَةِ مَعَهُمْ لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَشْهَدُ مَعَهُمْ لِأَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ بِذَلِكَ، فَضْلًا عَلَى أَنْ يَكُونَ شَاهِدُهُ مِنْ قَبِيلِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ، فَقَرِينَةُ الْكِنَايَةِ ظَاهِرَةٌ.وَعُطِفَ عَلَى النَّهْيِ عَنْ تَصْدِيقِهِمْ، النَّهْيُ عَنِ اتِّبَاعِ هَوَاهُمْ بِقَوْلِهِ: وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا.» [3]

وختاما: يمكن القول: إن استعمال اسم الفعل هنا كان أقوى في التحدي، والإنكار لما له من معنى الجمع مع الإحضار، وفوق هذا كان من الناحية الصوتية أشد دلالة؛ إذا بدأ بحرف حلقي، وختم بحرف شفهي، وكأنه دلالة على معناه الجمع.

كما يمكن القول : إن (هلم) لم ترد بهذا المعنى في القرآن إلا في هذا الموضع، كما أن تحريم المشركين للأنعام لم يرد في غير هذا الموضع، فكان هناك تناسب في الاستعمال.والله أعلم.

□

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني،١٦٤/٤، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨مـ.

(٢) لسان العرب، ٥٤٨/١٢.

(٣) التحرير والتنوير، ١٥٤/٨أ.

الموضع الآخر:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨]. وهوفي سياق الحديث عن غزوة الخندق وتعذر المنافقين ودعوتهم لبعض المؤمنين بالرجوع عن القتال مع رسول اللهﷺ.

السياق الموضوعي لاسم الفعل (هلم) لازما:

لم ترد دعوى المنافقين للتخاذل وترك القتال بلفظ هلم سوى في هذا الموضع، ولكن وردت بلفظ (لا تنفروا) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١].

وحكى القرآن لفظهم بعد قعودهم، أن لوأطاعهم مَن قاتل ، فقعد لَما قُتل، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلْيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

والأمر بالرجوع في السورة نفسها، بل الغزوة ذاتها: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]. ولم تقع العين على مواضع دعوى صريحة للرجوع عن القتال في القرآن الكريم.

أثر السياق الموضعي في استعمال اسم الفعل (هلم):

قبل البدء يُطرح سؤال: لم استعمل اسم الفعل هلم ، ولم يستعمل ارجعوا كما حكاه القرآن في أول الآيات؟

إن إنعام النظر في سياق اسم الفعل في سورة الأحزاب؛ يجد الحديث عن الأحزاب وتجمعهم لحرب المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩ – ١٠]، وذكر المفسرون وأصحاب السير أن المنافقين دَعَوا مّن دَعَوا من المؤمنين، ليرجعوا إلى حلفائهم من اليهود، وعللوا ذلك بخشية إهلاك اليهود لهم وأن رسول اللهﷺ لن ينفعهم بشيء ، يقول البغوي:«وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ أَرْسَلَتْ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، وَقَالُوا: مَا الَّذِي يَحْمِلُكُمْ عَلَى قَتْلِ أَنْفُسِكُمْ بِيَدِ أَبِي سُفْيَانَ

وَمَنْ مَعَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ قَدَرُوا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ يَسْتَبْقُوا مِنْكُمْ أَحَدًا، وَإِنَّا نُشْفِقُ عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَجِيرَانُنَا، هَلُمُّوا إِلَيْنَا، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَعُوقُونَهُمْ وَيُخَوِّفُونَهُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ، وَقَالُوا: لَئِنْ قَدَرُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَسْتَبْقُوا مِنْكُمْ أَحَدًا مَا تَرْجُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ، مَا هُوَ إِلَّا أن يقتلنا هاهنا، انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا، يَعْنِي الْيَهُودَ، فَلَمْ يَزْدَدِ الْمُؤْمِنُونَ بِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا »[1]، هذا الرأي **يقول بدعوة المنافقن للمؤمنين، في حين** يُجَوِّز ابن عاشور أن المعوقين طائفة أخرى وإخوانهم: الموافقون لهم في النفاق، والمراد: «الْأُخُوَّةُ فِي الرَّأْيِ وَالدِّينِ. وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ أُبَيٍّ، وَمُعَتِّبَ بْنَ قُشَيْرٍ، وَمَنْ مَعَهُمَا من الَّذين انخذلوا عَنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ؛ فَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنا أَيِ: ارْجِعُوا إِلَيْنَا. قَالَ قَتَادَةُ: هَؤُلَاءِ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ لَهُمْ: مَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا أَكَلَةُ رَأْسٍ- أَيْ نَفَرٌ قَلِيلٌ يَأْكُلُونَ رَأْسَ بَعِيرٍ- وَلَوْ كَانُوا لَحْمًا لَالْتَهَمَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ وَمِنْ مَعَهُ- تَمْثِيلًا بِأَنَّهُمْ سَهْلٌ تَغَلُّبُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَيْهِمْ.»[2].

وسواء كانت دعوة للمؤمنين أولباقي المنافقين؛ فإن استعمال اسم الفعل ناسب السياق الدال على الجمع والتحزب، فلفظ(هلم) كما ذُكر قبل يدل على جمع، وكأن القرآن يصف صور حرص المنافقين أن يجعلوا لأنفسهم قوة يجابهون بها الإسلام، ولا يمَثِّل هذه الإرادة إلا اسم الفعل الذي يدل على جمعهم، ولو قيل ارجعوا كما في الآيات السابقة لها أو تعالوا؛ ما حمل هذا المعنى، كما أن استعمال اسم الفعل هنا فيه تأكيد تخلفهم عن رسول الله؛ إذا لا تدعو إلى الإلمام عليك في مكان إلا وأنت فيه، في حين الأمر بالرجوع لايقتضي أن تكون فيه، فاستعمال اسم الفعل كان أنسب للسياق، ولإغراء غيرهم عند رؤية بعدهم عن الحرب، فتميل النفوس المنافقة إلى دعواهم، وقد أشار أبو السعود إلى كونهم في طريق المدينة بقوله: «هُلمَّ يا رجلُ وهلمُّوا يا رجالُ أي قرِّبوا أنفسَكم إلينا، وهذا يدلُّ على أنَّهم عند هذا القولِ خارجون من المعسكرِ متوجِّهون نحوَ المدينةِ»[3]، فكان استعمال اسم الفعل هنا من القوة في التعبير عن المقصود بمكان.

وفي ختام هذا الموضع يمكن القول: يكفي في التعبير بهلم قول الكفوي: «وهَلُمَّ إِلَيْنَا بِمَعْنى ائْتِ وتَعالَ، وَلَيْسَ المُرَاد بالإتيان هُنَا المَجِيء الحِسي، بل الاسْتمْرَار على الشَّيْء والمداومة عَلَيْهِ، كَمَا أَن المراد بالانطلاق في

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ٣٣٤/٦، تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩٤/١.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، ٤٠٧/٤.

قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾[ص: ٦] ليس الذّهاب الحسي بل انطلاق الألسنَة بالْكلَام، ولا المراد بِالمشي المشي بالأقدام بل المراد الاستمرار والدوام»[١]

وختاما:

- استعمل اسم الفعل (هلم) في سياقين مختلفين بمعنيين مختلفين؛ ويمكن حمل كل موضع على كونه فريدة من فرائد القرآن الكرين من ناحية المعنى في صورة هذا اللفظ.
- استعمال اسم الفعل أقوى في التعبير عن فعله المقصود به.
- الدلالة الصوتية لاسم الفعل هلم مناسبة لقوة المعنى الذيورد في سياقه.

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء ، صـ٩٥٩.

المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هيت) في القرآن الكريم.

(**هيت**) اسم فعل أمر ، بمعنى تعال أو ائت ، لم يرد سوى مرة واحدة في القرآن الكريم، وقيل اسم فعل ماضٍ، هذا في كتب اللغة، وكثير من المفسرين، ويرى بعض النحويين أن الماضي معناها، وقيل الأمر، يقول ابن هشام: «وَأما قَوْله تَعَالَى {وَقَالَت هيت لَك} فِيمَن قَرَأَ بهاء مَفْتُوحَة وياء سَاكِنة وتاء مَفْتُوحَة أَو مَكْسُورَة أَو مَضْمُومَة فهيت اسْم فعل ثمَّ قيل مُسَمَّاهُ فعل مَاض أَي تهيأت فَاللَّام مُتَعَلقَة بِهِ كَمَا تتَعَلَّق بمسماه لَو صرح بِهِ وَقيل مُسَمَّاهُ فعل أَمر بِمَعْنى أقبل أَو تعال فَاللَّام للتبيين أَي إرادتي لَك أَو أَقُول لَك»(١)

ويبدو أن من قال بمُضي اسم الفعل نظر فقط إلى صيغته القريبة من الماضي، ومن قال بالأمر كان نظره إلى السياق.

أثر السياق الموضعي في استعمال اسم الفعل (هيت) في القرآن الكريم.

ورد اسم الفعل (**هيت**) في سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولم أر موضعا آخر في القرآن يحكي مثل هذا الموقف؛ ولذا فهو موضوع في موضع واحد، وقد كان للسياق أثر في استعمال اسم الفعل.

فبدأت الآية بالفعل(راود) وهو على وزن فاعِل، ودلالته في هذا الموضع التكثير لا المشاركة، وإن قال بعض الناس المشاركة فهي مشاركة بالنظر لمراد امرأة العزيز، أي: إن امرأة العزيز أخذت في مراوته متمنية بل ظانة -أنه باعتبار عاداتهم- سيبادلها هذه امراودة، فكان التعبير بصيغة فاعل.

ثم قوله تعالى: (عن نفسه) الذي يدل على شدة الافتتان بجمال النبي يوسف ، لا لجمال أو جاه.

ثم كان استعمال (غلقت) بما فيه من المبالغة في إحكام الغلق لتمكن مما تريد، وقد حملها كثير من الأقوال على إرادة إظهار الجسد وغير ذلك ، ولكن لِمَ لا تُحمل على كون هذه المرأة لم تعلم من يوسف عليه السلام تجاوبا ولا نظرا إليها مع جمالها-كما تذكر الكتب، فكأنها على يقين أنه لن يوافقها مرادها فغلقت الأبواب؟

هذا السياق كله أظهر شدة حب المرأة ليوسف عليه السلام، فلو اختُتمت تلك الحالة بأمر بالإقبال كـ (أقبل، تعال، أسرع، ائت) فهذه الأفعال ما كانت مؤدية دور اسم الفعل؛ إذ صيغته مقترنة باللام التي تفيد البيان، وكأن المعنى فيه تهديد: تعال خير لك، وهذا أولى بالتوجيه من الفعل الماضي؛ إذ الماضي تكون اللام فيه غائية، أي: أنت الغاية للتهيؤ، وشتان ما بين المعنيين، معنى فيه ما يقترب من التهديد الذي يناسب شدة رغبة، ومعنى فيه إخبار فقط، فالأول أمر بالإتيان لتحقق مرادها، والثاني كمَن يعرض أمرا قد يلْقَى قبولا أو ردا.

لذا كان استعمال اسم الفعل بمعنى الأمر أقوى وأرجح، بل وله من قوة الدلالة نصيب.

وختاما: فاسم الفعل هيت كان ذا قوة في مقامه، وتفرد في موضعه، ودلالة في حروفه المبدوءة بالهاء التي تحمل تنهد المتنهد.

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، ١/٥٠٤.

المطلب الثالث: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هاء) في القرآن الكريم.

«(هاؤُمُ) بِتَصَارِيفِهِ مُعْتَبَرٌ اسْمُ فِعْلِ أَمْرٍ بِمَعْنَى: خُذْ، كَمَا فِي «الْكَشَّافِ» وَبِمَعْنَى تَعَالَ، أَيْضًا كَمَا فِي النهاية»[1].

وقال أبو حيان: « هاء بمعنى خذ، فيها لغات ذكرناها فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَابْنُ السِّكِّيتِ: الْعَرَبُ تَقُولُ: هَاءَ يَا رَجُلُ، وَلِلِاثْنَيْنِ رَجُلَيْنِ أَوِ امْرَأَتَيْنِ: هَاؤُمَا، وللرجل هاؤم، وللمرأة هَاءِ بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَة مِنْ غَيْرِ يَاءٍ، وَلِلنِّسَاءِ هَاؤُنَّ. قِيلَ: وَمَعْنَى هَاؤُمُ: خُذُوا، وَمِنْهُ الْخَبَرُ فِي الرِّبَا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ: أَيْ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ لِصَاحِبِهِ خُذْ. وَقِيلَ: تَعَالَوْا، وَزَعَمَ الْقُتَبِي أَنَّ الْهَمْزَةَ بَدَلٌ مِنَ الْكَافِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ إِلَّا إِنْ كَانَ عَنَى أنها تحل محلهَا فِي لُغَةِ مَنْ قَالَ: هَاكَ وَهَاكَ وَهَاكُمَا وَهَاكُمْ وَهَاكُنَّ، فَيُمْكِنُ أَنَّهُ بَدَلٌ صناعي، لأن الكاف لا تُبدل من الهمزة ولا الهمزة منها»[2].

السياق الموضعي لاسم الفعل (هاؤم):

ورد اسم الفعل (هاء) مرة واحدة في القرآن الكريم، في سياق الحساب يوم القيامة، وذلك لمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح به وينادي على الناس ليروا جزاء الخير.

يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩]، ولم يرد نداء في القرآن ممن أخذ كتابه سوى هذا الموضع.

السياق الموضوعي لاسم الفعل (هاؤم):

ورد أخذ الكتاب في القرآن للحساب في ستة مواضع:

الأول في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الإسراء: ٧١].

والثاني في سورة الجاثية في قوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٨].

والثالث والرابع في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ

(١) التحرير والتنوير، ١٣١/٩.

(٢) البحر المحيط، ٣١٤/٨..

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٦].

والخامس والسادس في سورة الانشقاق، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٢].

ومن خلال تلك المواضع لم يكن فيها ما استعمل اسم الفعل أو دعا فيه صاحبه لقراءة كتابه سوى في الموضع الثالث في سورة الحاقة.

وإنما وردت الدعوة للأمم لأخذ كتابها، وكانت بلفظ (تُدْعَى)، ولم تكن بـ(هاؤم).

أثر السياق الموضعي لاسم الفعل (هاؤم):

بإنعام النظر في سياق الآيات التي ورد فيها اسم الفعل (هاؤم) تجد أن السياق يرتكز في بيان ما عليه الضدان، السعيد الذي يفتخر بعمله، والحزين الذي أصابه الغم والحزن. ثم يأتي الجزاء بعد هذا.

فالسياق في الآيات يدعو لاستعمال اسم الفعل؛ إذ جاء في الأية قبلها {تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ}، والعرض وعدم الخفاء فيه ظهور يستدعي الفخر لمن أحسن، والخزي والندم لمن أساء. فكان هذا الظهور يقتضي إظهار ما في نفس الكل من فرح وسرور.

ففي كل موضع من المواضع المختلفة في أخذ الكتاب يوم القيامة –تجد سياقا، ففي الإسراء مثلا دار السياق حول نعم الله على بني آدم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] وأن جزاءهم بما كان من حفاظهم على هذا المكَرَّمين به. فإما: قراءتهم كتابهم واطمأنانهم بما فيه، وإما عمَى من ساء عمله.

وفي الجاثية تجد مقام الحديث عن قدرة الله عز وجل ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٦ – ٢٨] فتجد الأيات تتكلم عن جثو الأمم وقدرة الله في جزائهم. ولم يتطرق السياق لما في الأشخاص من حزن أو فرح.

والانشقاق فيها حديث جزاء الأعمال، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانشقاق: ٦] ، من حساب ونعيم، أو حساب وعذاب ، ثم علة كل جزاء.

أما الموضع الذي فيه اسم الفعل مقام الحديث عن الظهور الذي يقتضي فخر المرء بعمله الحسن، الذي كان يعلم أنه سيحاسب؛ فقدم الصالحات، يقول تعالى: {إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ }.

وناسب هذا الظهور سرعة معرفة الجزاء قبل قراءة الكتاب، فكونه أخذه بيمينه يجعل البشرى ظاهرة، يقول ابن عاشور: «وإيتاء الكتاب باليمين علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير، والعرب يذكرون التناول باليمين كناية عن الاهتمام بالمأخوذ والاعتزاز به»[1]؛ فينادي على الناس ليفخر بجزائه وتمام النعمة عليه.

هذا وأصوات اسم الفعل تناسب هذه البشرى والسعادة؛ فالهاء مع الهمزة والميم كأنه ينبه ويدعو أن يؤمه الناس، أي: يقصدوه ليروا الخير الذي حل به.

وحمله على معنى (تعالى) أقرب من (خذ) لما فيه من دعوة الناس ليقرءوا كتابه، ومعلوم أن كل امرئ يمسك كتابه، فالأخذ هنا بمعنى الإقبال، فحمله على الإقبال أولى.

وختاما: فاسم الفعل (هاؤم) فيه إيجاز لدعوة وعرض كتاب وبشرى ، ولو استعمل غيره ما أدى معناه، فلو قيل مثلا في غير القرآن: فيدعوا الناس ليقرءوا؛ ما وفى هذا المعنى، لفقده تنبيها في حروف اسم الفعل.

ويلاحظ في ختام اسم الفعل المرتجل أن استعمال هلم أو هيت وهاؤم اشتركوا جميعا في معنى الإقبال، فـ (هيت وهلم) بمعنى تعال، وهاتو بمعنى أحضروا وهو من معاني هلم، وكذلك (هاؤم) فكلها تدور حول معنى واحد غالبا. وهذا من أسرار القرآن في دعوة الآخرين.

---

(1) التحرير والتنوير، ٢٩/ ١٢٠.

المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر (المنقول) في القرآن الكريم.

اسم الفعل المنقول: هُوَ ما نُقِلَ عَنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ:

(أ) إمَّا مَنْقُولٌ عن: "ظَرْف" نحو "وَرَاءَكَ" بمعنى تأَخَّرْ، و «أَمَامَكْ»بِمَعْنَى تَقَدَّمَ، و«دونَكَ» بِمَعْنَى خُذْ، «مَكَانَكْ» بِمَعْنَى اثْبُتُ.

(بـ) وإما منقولٌ عن «جارٍّ ومجرُور» نحو "عَلَيْكَ" بمعنى الزَمْ، ومنه: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} و «إِلَيْكَ» بمعنى تَنَح، ولا يُقاسُ على هذه الظروفِ غيرُها. ولا تستعمل إلاّ مُتصِلةً بِضَمير المُخَاطَب، لا الغائبِ، ولا غير الضمير، وموضعُ الضمير جر بالإضافة مع الظروف، وجرُّ بالحرف مع المنقول من الحروف، وإذا قلت: «عَلَيْكُمْ كلكمُ أنفسَكُمْ» جاز رفعُ "كُل" توكيداً للضمير المستكِنّ، وجره توكيداً للمجرور.

(جـ) وإمَّا مَنقولٌ عن مَصدرٍ وهو على قسمين:

الأول: مصدرٌ استعمل فِعلُه، نحو «رُوَيْدَ بَكْراً» أن أمْهِلْه، فإنهم قالوا: «أَرْوَدَه إرْوَاداً» بمعنى أمْهَلَهُ إمْهالاً، ثم صَغَّروا المَصْدَرَ بعد حذف زَوائده، وأقامُوهُ مُقام فِعْله، واستَعْملُوه تَارَةً مُضَافاً إلى مَفعوله، فقالوا: «رُوَيْدَ محمدٍ» وتارةً منوناً ناصباً للمفعول، فقالوا: «رُوَيْدًا عليًّا ثم نقلوه عن المصدَريَّة وسَمَّوا به فعله؛ فقالوا: «رويدَ عليًّا». واسم الفعل (**رويد**) لم يرد في القرآن على الأرجح؛ وورود اللفظ في سورة الطارق ليس على اسم الفعل، وإنما أُعرب نعتا لمصدر محذوف.

الثاني: مصدرٌ أُهمِل فِعْلهُ نحو «بَلْهَ» فإنه في الأصل مصدرُ فعلٍ مُهْمَل مُرَادفٍ لـ «دَعْ» و «اتْرُك» يقال: «بَلهَ عليٍّ» بالإضافة للمفعول، كما يقال: «ترك علي»ثم نقلوه وسمَّوا به فعله فقالوا: «بله عليًّا» بنصب المفعول وبناء «بَلْهَ» على الفتح على أنَّه أسم فعل.»[1].

المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (عليكم) في القرآن الكريم.

اسم الفعل (عليكم) ورد في كتب اللغة عند تعريفهم لاسم الفعل المنقول عن الجار والمجرور، أي: أصله جار وجرور، وقال النحويون: إنه بمعنى الزموا، يقول ابن هشام عند ذكرأقسام اسم الفعل: «ما نقل من غيره إليه؛ وهو نوعان: منقول من ظرف أو جار ومجرور؛ نحو: "عليك" بمعنى الزم؛ ومنه: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} ؛ أي: الزموا.»[2]

□

(١) معجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر، ص ٤٣، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ)، ٤ /٨٢، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

السياق الموضعي لاسم الفعل عليكم:

ورد اسم الفعل في القرآن في ثلاثة مواضع:

الأول:في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [النساء: ٢٤].

وعليكم اسم فعل عند الكوفيين بخلاف البصريين. وهي في موضع الحديث عن المحرمات من النساء.

الثاني: في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وهذا اسم فعل بالإجماع، وهو في موضع بيان الحلال والحرام، فحرم الخمر، ثم بيَّن ما يحرم وما يحل من الصيد في الإحرام، ثم بيَّن عدم استواء الخبيث والطيب، ثم حرم عادات الجاهلية من تحريم بعض أنواع الإبل، ثم بين أن الإسلام دعاهم لحكم الله ورسوله فيما أحلوا وحرموا فأبَوا، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُم أَنْفُسَكُم}.

الثالث: في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١][1].

وفي هذا الموضع قيل: إنه اسم فعل على الوقف قبل (عليكم) وضعف هذا الرأي آخرون لتفكيك التركيب (النظم).هو في موضع خطاب المشركين لبيان ما حرم الله عز وجل؛ إذ كانو يحرمون بعض أنواع الأنعام التي لم يحرمها الإسلام.

ولن يتعرض البحث لهذا الموطن؛ لأن الأرجح أنه ليس اسم فعل؛ لقطعه عن السياق.

ولأن السياق اقتضى أن يكون (عليكم) جار ومجرور متعلق بما قبله، ففي قوله تعالى قبل الآية محل الشاهد: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا

---

(1) ينظر: مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، أسماء الأفعال في الاستعمال القرآني، د./ زهير محمد العرود ، صـ ٨. يونيو- ٢٠١٨م.

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. بدأت بـ(على)، وكانت دعوة النبي أن يبين لهم ما حرم الله عليهم، وليس البدء بالإلزام؛ إذ قد يترتب عليه نفور.

السياق الموضوعي لاسم الفعل عليكم:

أولا:السياق الموضوعي لموضع سورة النساء:

لم يرد في القرآن بيان لتحريم النساء تفصيلا سوى في هذا الموضع، وإنما ورد قبل هذه الآيات تحريم ما نكح الآباء إلا ما قد سلف؛ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [النساء: ٢٢].

وورد في سورة الأحزاب ما يحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرم في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وما قبلها.

وكذلك تحريم زوجات النبي على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وكذلك تحريم نكاح المشركين في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وتحريم من بانت بينونة كبرى على طليقها حتى تنكح زوجا غيرة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فلم يذكر في أي موضع اسم الفعل، وإنما ذُيلت الآيات أو التحريمات بما يفيد مراقبة الله التي تستلزم الحث على العمل بما سيق لنا، أو بالترهيب من عظم إيذاء رسول الله، أو بيان الله للأحكام التي تستلزم إقامة الحجة على المخالف.**ودراسة آيات المحرمات من النساء موضوع قائم بذاته.**

آخرا: السياق الموضوعي لموضع سورة المائدة، وهو المجمع فيه على كون (عليكم) اسم فعل بمعنى الزموا. وقد وردت آية المائدة في دعوة المؤمنين أن يكون حرصهم على صلاح دينهم لا يضرهم من ضر إذا استقام دينهم بما فيه من أمر بمعروف ونهي عن منكر.

ولم ترد آية في القرآن تصرح بالتزام النفس غير هذه الآية، وإنما وردت آيات فيها البدء في الإصلاح بالنفس كقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

ووما ورد من الإصلاح للنفس، الشهادة عليها إن اقتضى العدل هذا، فهي صورة من التزام النفس، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء: ١٣٥].

وكذلك مما ورد في الاهتمام بالنفس ضمنا قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٢]، فعدم تكليف النفس إلا وسعها يقتضي ألا يبالغ الإنسان في الحرص على غيره ويترك نفسه تهلك بالتقصير.

ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النمل: ٨٠ – ٨١]، فكلتا الآيتين فيهما معنى {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل} بعد تنفيذ ما أمر الله من الدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف.

أثر السياق الموضعي لاسم الفعل (عليكم):

الموضع الأول: {كتاب الله عليكم} والأصل عند الكوفيين (عليكم كتاب الله). أي الزموا ، ولما بدأ التحريم بـ(عليكم) أكده بعد انتهاء التحريم بـ (كتاب الله عليكم).

فـ(حُرِّمَ) نائب الفاعل لها الأمهات وما عُطف عليها، وكون النظم أورد لها متعلق (عليكم) فهو لغرض، وهو إفادة تأكيد تحريم هذه الأجناس من النساء علي المسلمين أيضا؛ إذ كانت كذلك في الجاهلية إلا زوجة الأب، وأخت الزوجة، «وقد أثبت الله تعالى تحريم من ذكرهن، وقد كن محرمات عند العرب في جاهليتها، تأكيدا لذلك التحريم وتغليظا له، إذ قد استقر ذلك في الناس من قبل، فقد قالوا: ما كانت الأم حلالا لابنها قط من عهد آدم عليه السلام، وكانت الأخت التوأمة حراما وغير التوأمة حلالا، ثم حرم الله الأخوات مطلقا من عهد نوح عليه السلام، ثم حرمت بنات الأخ، ويوجد تحريمهن في شريعة موسى عليه السلام، وبقي بنات الأخت حلالا في شريعة موسى، وثبت تحريمهن عند العرب في جاهليتها فيما روى

ابن عطية في تفسيره، عن ابن عباس: أن المحرمات المذكورات هنا كانت محرمة في الجاهلية، إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين. »[1].

وكما جاء (عليكم) مع التحريم، جاء مع تأكيد هذا الفرض من الله (كتاب الله عليكم)، واستعمال اسم الفعل المنقول هنا لا بد فيه من حمل معنى الجار المنقول منه، هو (على) فهو فرض له حق الاستعلاء، الذي يستوجب العمل به لكونه ذا علوٍّ، وإن كان استعلاء معنويا.

ولم يُقَلْ: الزموه، وهو معنى اسم الفعل؛ لما في اسم الفعل من معنى حرف الجر، الذي أغنى ذكره عن معناه، وكذا لما فيه من تصوير هذا الإلزام في شدة تمكنه من خلال اسم الفعل؛ لإفادته التمكن من المخاطبين، وذلك بالإضافة لإيجازه.

وهذا كله مجاراة للسياق؛ حيث بدأ بذكر (عليكم) فكان التذييل مناسبا لما بدئ به، كما أن فيه حثًّا على جعل هذه القاعدة الشرعية نصب العين للعمل بها، فلا ينزل عن العلو؛ ففيه تحضيض على الأخذ به من خلال بيان الاستعلاء في المكتوب.، وهو ما لم يكن في (الزموه).

الموضع الثاني:

قوله تعالى: {عليكم أنفسكم}، وهي في خطاب مباشر للمؤمنين، لا لعموم الناس كما في سورة النساء، وقد وردت بعد استنكاف المشركين أن يتبعوا ما أنزل الله؛ ولذا كان الأمر بالتزام النفس في الآية لا ينفصل عن سابقتها؛ ليكون المعنى: إذا دعوتم إلى المعروف ونهيتم عن المنكر -{وإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وإِلَى الرَّسُولِ} - فما عليكم بعدها إلا التزام أنفسكم.

وقد جاء التعبير بالالتزام عن طريق اسم الفعل (عليكم)؛ إذ فيه معنى ما نقل منه (على)، فانشغال المرء بما يعلوه فيه شديد دقة وحذر، وهو المراد، ولن يأتي هذا من الفعل (الزموا).

وكما ورد سياق الدعوة للمشركين بـ (تعالوا) الذي يحمل معنى التعالي عن شيء إلى آخر، فهم يُدعون للتعالي عن الكفر إلى الإيمان، فأرشد القرآن المؤمنين بما يتناسب وهذا السياق، مما يجعلهم في علوٍّ بألا يحملوا أنفسهم ما لا شأن لها بها، وهو هداية المشركين، إنما عليهم الدعوة فقط.

وختاما: فإن اسم الفعل(عليكم) استعمل في سياقات تحريم، واستعماله دون الفعل المفسر به؛ لدلالته على ما نقل منه وهو حرف الجر المفيد استعلاء، الذي يقتضي تمكن المأمور به من المأمور.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩٥/٤.

المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (مكانكم)

(مكانك) اسم فعل أمر منقول، بمعنى اثبت[1]، وقد نقل من ظرف مكان، ولا يستعمل بدون الكاف. وهو من النوع الأول عند ابن هشام، أي: المنقول من ظرف أو جار ومجرور.

السياق الموضعي لاسم الفعل (مكانكم):

لم يرد اسم الفعل (مكانكم) سوى مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يونس: ٢٨].

وهي في سياق الحديث عن صنفي الناس: مُؤْمِنُهم وغير مؤمنهم، فغير المؤمنين عُبِّر عنهم بـ{كسبوا السيئات}، ثم كان الحشر وإلزامهم بالثبات.

السياق الموضوعي لاسم الفعل (مكانكم):

لم يستعمل اسم الفعل هذا في القرآن في مواضع الحشر، ولكن ورد لفظ الثبات الدال على معناه ثلاث عشرة مرة في القرآن، منها مباشر بالأمر مرتين: الأولى في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢]

والأخرى في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وكلاهما ثبات النفس، شيء معنوي، وليس مما فيه اسم الفعل.

أم عن مقامات الحشر التي وردت بمشتقاته حوالي تسع وثلاثين مرة في القرآن، فلم يُؤمر فيها بالوقوف، إلا عند قوله تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات: ٢٢ – ٢٤]، ولم يكن أمرا مباشرا للذين ظلموا، وإنما كان للملائكة بإيقافهم، فلو عُبر فيه باسم الفعل لاحتاج أمرين –قولوا لهم مكانكم- ويكون تطويلا.

أثر السياق في استعمال اسم الفعل (مكانكم):

استعمل اسم الفعل في سورة يونس في سياق وصف الحشر وبيان الجزاء، والسياق قبل الآية بيَّن أن السيئة بسيئة مثلها، ثم تزداد الذله. وهذا على خلاف ما فيه أهل الحسنى، فإن لهم الزيادة لتخليهم عن متع الدنيا؛ لينالوا بها الرضا من الله عز وجل.

---

(١) ينظر: أوضح المسالك، ٤/ ٨٣.

فلما كانت السيئة بالمثل وبعدها الذلة، كان استعمال اسم الفعل للدلالة على الثبات أقوى تأثيرا، وكأن المعنى: خالفتم الأمر في الدنيا ولا سبيل لكم لهذا في الآخرة، فالتعبير بالمكان يقتضي الفورية وليس البطء الذي يصل إلى ثبات، بل هو أمر خالص مختصر بالتزام المكان الذي هم فيه للحساب، وأي ذلة بعد هذه الذلة التي تمنع صاحبها من القربى، وكأني باسم الفعل أيضا فيه معنى النفور من المشركين لفحش أعمالهم، وسوء مآلهم.

كما أن القرآن كنى عن أهل المعصية بـ {كسبوا السيئات} على طريق الكناية، وكان اسم الفعل بدلا من الفعل من الطريق نفسه.

وختاما:

استعمل اسم الفعل (مكانكم) دلالة على شدة الثبات وإلزام بالمكان، وإشارة إلى النفور من الكفار.

يلاحظ أن اسمي الفعل الأمر المنقولين في القرآن الكريم،فيهما معنى الإلزام؛ إذ هما بمعنى (الزموا، واثبتوا) .

الخاتمة:

وبعد، فالحمد لله على ما منح، وله المنة والفضل. فقد توصل البحث من خلال التحليل لأمور منها:

١- من حقائق البحث: استعمال اسم الفعل للإيجاز والقوة في المعنى.

٢- استعمل اسم الفعل الماضي (هيهات) لتأكيد معنى الاستبعاد ؛ لا سيما بتكراره، وتكرار الهاء فيه.

٣- استعمال اسم الفعل المضارع (أف) جاء دالًّا على الشدة ولو في الأضداد (القلة والكثرة).

٤- التعبير بـ(وي) كان فيه شدة تعجب إذ رأوا الهلاك بأعينهم؛ فاستدعى ذلك نوع تعجب.

٥- استعمال اسم الفعل هلم كان فيه دلالة على قوة التحدي لما فيه م معنى الجمع والإحضار والاستمرار على الشيء.

٦- استعمل اسم الفعل (هلم) في سياقين مختلفين بمعنيين مختلفين؛ ويمكن حمل كل موضع على كونه فريدة من فرائد القرآن الكرين من ناحية المعنى في صورة هذا اللفظ.

٧- اسم الفعل هيت كان ذا قوة في مقامه، وتفرد في موضعه، ودلالة في حروفه المبدوءة بالهاء التي تحمل تنهد المتنهد.

٨- اسم الفعل (هاء) فيه إيجاز لدعوة وعرض كتاب وبُشرى .

٩- اسم الفعل المرتجل أن استعمال هلم أو هيت وهاؤم اشتركوا جميعا في معنى الإقبال، فـ (هيت وهلم) بمعنى تعال، وهاتو بمعنى أحضروا وهو من معاني هلم، وكذلك (هاؤم) فكلها تدور حول معنى واحد غالبا. وهذا من أسرار القرآن في دعوة الآخرين.

١٠- استعمال اسم الفعل المنقول فيه معنى ما نقل منه غالبا، كما أن فيه قوة إلزام بالمأمور به.

فهرس المصادر

- القرآن الكريم.

١-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ،أبو السعود محمد العمادي الحنفي (٩٠٠- ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة.

٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣-البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ، مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.

٥-تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٦-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٧-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: الرابعة.

٩-دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨مـ.

١١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

١٢- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ، تحقيق: د/ حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٣- شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، حققه: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

١٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ- ١٦٨٣م) ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥- لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن ابن منظور الإفريقى ، مادة (أفف)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٦- مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، أسماء الأفعال في الاستعمال القرآني، د./ زهير محمد العرود ، يونيو- ٢٠١٨م.

١٧- المسائل السفرية في النحو، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٩- معجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

فهرس الموضوعات:

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	١٧٣٢
٢	التمهيد	١٧٣٥
٣	الفصل الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي والمضارع في القرآن الكريم	١٧٣٧
٤	المبحث الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الماضي (هيهات)	١٧٣٧
٥	المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل المضارع	١٧٣٧
٦	المطلب الأول:أثر السياق في استعمال اسم الفعل (أف)	١٧٤٢
٧	المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل «وَيْ»	١٧٤٩
٨	الفصل الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر في القرآن الكريم	١٧٥٢
٩	المبحث الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر (المرتجل) في القرآن الكريم.	١٧٥٣
١٠	المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هلم) في القرآن الكريم.	١٧٥٣
١١	المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هيت) في القرآن الكريم.	١٧٦٠
١٢	المطلب الثالث: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (هاء) في القرآن الكريم.	١٧٦١
١٣	المبحث الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل الأمر (المنقول) في القرآن الكريم.	١٧٦٤
١٤	المطلب الأول: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (عليكم) في القرآن الكريم.	١٧٦٤
١٥	المطلب الثاني: أثر السياق في استعمال اسم الفعل (مكانكم)	١٧٦٩
١٦	الخاتمة:	١٧٧١
١٧	فهرس المصادر	١٧٧٢
١٨	فهرس الموضوعات	١٧٧٤